الفصل التاسع
في تأسيس الرهبنة اللبنانية

اعلم أن السيرة الرهبانية لم تنقطع في هذه البلاد منذ الأجيال الأولى للنصرانية أي من عهد ظهور النساك الأقدمين الذين أسسوا المناسك والأديار اقتداء بأبي الرهبان وكوكب البرية القديس انطونيوس الكبير فإن النساك والمتوحدين لم يفصلهم عن صوامعهم لا الجوع ولا البرد ولا السيف ولم يذلل عددهم تشتيت شمل المسيحيين ونكباتهم وفتك الكفار بهم بل اضحت القفار والجبال في سورية ديرًا عظيمًا وفردوسا أرضيًا فيه الرهبان كالملائكة السماويين يرتلون بدون انقطاع ويخبرون بعجائب رب العالمين. وما فتئ عددهم يزداد يومًا فيومًا وهذاالزرع ينمو ويطول إلى أن جاء المحال وبذر الزوان في حقل رب البيت وذلك عندما انشق النصارى الشرقيون عن بيعة الله الجامعة فذبلت حينئذ زهرة الرهبان المقدسة وانتشرت أوراقها كما ذكر جرمانس فرحات في مقدمته علىتاريخ الرهبانية. فحاد بعض الرهبان عن الإيمان المستقيم والبعض عدموا النظام الرهباني وتوانى الرؤساء وتغافلوا عن منهج الكمال وأمست أديارهم مأوى الجهل والكسل بعد أن كانت مركز العلم وقدوة النشاط. الا ان الله ما شاء اضمحلال هذه الرهبانية بالكلية بل أبقى له بقية لم تجث ركبها للبعل وهو ان الأمة المارونية وحدها في الشرق متحدة بالكنيسة الجامعة الرومانية وما غيرت حسن اعتقادها بل ثبتت بين أيدي الأراطقة والمشاقين تنادي: أمانة الكنيسة الجامعة أمانتي. وما أمكن الضيقات والاضطهادات المتوالية عليها من أعداء الدين والإيمان أن تثنيها عن سديد اعتقادها المستقيم وثباتها على الحق. فثبتت هذه الرهبانية مزهرة في بنيها مخصبة في أديرتها. ولكن كل دير قائمًا بذاته له عوائد تخصه ورسوم تخاص به لا يشترك دير بدير وبهذا النوع كان نمو هذه الرهبنة الشريفة وجيزًا في أولادها[1].

وقبل ان يفكر أحد بضم هذه الأديرة المتفرقة تحت نظام واحد ورئيس واحد سعى رؤساء الطائفة منذ القديم في تكثيرها ونشرها في كل نواحي هذا الجبل المقدس حسب أحكام الظرزف والأيام. وكان مزكز النسك حتى أوائل القرن السابع عشر في الوادي المقدس حيث شقوق الصخور كلها مناسك ورؤس التلال كلها صوامع ومغاور الأرض كلها كنائس. وأكثر الأديار التي أقيمت خارجًا عنه انما كانت مسكنًا للبطاركة وللأساقفة. ولما انتشر الأمن وعم الجبل كله أخذ بعض الأتقياء ونفر من تلامذة رومة يبنون أديارًا جديدة خارجًا عن الوادي المقدس وفي مزارع كسروان حتى وفي الشوف بين الأمم وصارت أديارهم كحصون للدين يجتمع في ظلها أبناء الطائفة الذين

[1] عن جرمانس فرحات.

https://patriarchdualmy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

اضطرهم الاضطهاد وضيق المكان إلى هجر أوطانهم والسير إلى أوطان جديدة بين الأمم المختلفة والأديان المتنوعة. وكان الرؤساء ينشطون الشارعين بأعمال كهذه ناظرين مستقبل الأيام. ولئلا نطيل الكلام في هذا الشأن نقول ان البطرك إسطفان لم يأل جهدًا في هذا المعنى بل كان يحث الجميع على الاهتمام بهذا الأمر ويحركهم بمثله. فمن الأديار التي عني بتأسيسها أو بتجديدها نذكر دير ماري عبدا على نهر الكلب الذي يعرف بالمشمر. ودير ماري شليطا مقبس وقد سبق الكلام عنهما. ثم في التشارين سنة ١٦٩٠ جدد دير مار سركيس راس النهر في إهدن وكان رممه قبل ذلك المطران بولس الدويهي وعاد بناؤه. ثم رفع إلى المطرنية نسيبه القس جبرائيل الدويهي ووكل إليه تدبير الدير المذكور ورئاسته. وقد ترك لنا الدويهي خبر ذلك على كتاب قديم العهد يشتمل على الأناجيل الأربعة ووقع عليه اسمه وختمه[٢]. وكذلك في سنة ١٦٩١ عندما ترهب أبو مخائيل انطانيوس من أصنون أخذ الدويهي بيده وبنى له دير مرت مورا[٣]. ثم حدث في اثناء ذلك ان سقط حائط سيدة حوقا[٤] البراني فأصلحه، وسنة ١٦٩٥ ادعى بيت عميرا ببساتين مار سركيس راس النهر التي في أرض زغرتا فدفع لهم من ماله وحرر أرزاق الدير المذكور[٥]. وفي سنة ١٦٩٧ كرس دير ماري انطونيوس قزحيا ومنه صعد إلى دير مار مخائيل شاريّا وكرس كنيسته[٦]. وقد مرّ الكلام عن القس ابرهيم الغزيري الذي ذهب إلى ريشميا حين حين كان الدويهي في مجدل معوش وبإشارته وتشيره اهتم بتشييد دير مار يوحنا الذي أقامه من ماله أحد أهالي القرية المذكورة الشيخ ابو صابر. وفي سجة بناء الدير اللويزة يقول واقف الدير ومؤسسه القس اغناطيوس سلهب: نذرت على نفسي (...) لدير يكون مدرسة لعلم الأولاد من غني وفقير لحسنة بشور وتدبير سيدنا المرحوم المغفور له البطرك إسطفان الهدناني[٧] ا هـ. ونخص بالذكر هنا دير مار انطونيوس عين ورقة. كان تأسيسه سنة ١٦٦٠م في المحل المعروف بالمشرح تحت المدرسة الحالية حيث الآن يوجد بعض أشجار زيتون. وكان أقام هناك الخروي خيرالله إسطفان كنيسة على اسم السيدة والدة الإله.

أما الخوري خيرالله المذكور فكان من قرية غسطا وترهب أولاً في دير ماري شليطا مقبس ثم خرج منه وبنى دير عين ورقة ورقاه البطريرك إسطفان إلى الأسقفية على كرسي العاقورة (وفي رواية

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[٢] والكتاب المذكور نسخ سنة ١٨٦٠ يونانية (١٤٤٩م) في قرية حردين من أعمال البترون برسم الشماس دوميط بن جورجيوس قرمان من قرية اشكيرا (؟). وأظن أنّ ابن قرمان هذا من أنسباء المطران قورلس اليعقوبي مطران حماه وحردين. راجع رد التهم ف ١٤ وتاريخ الطائفة ص ٤١٥ – وفي معرض كلامه عن تجديد الدير المذكور يقول أنه صار بمناظرة القس جرجس الأميوني الذي عني أيضًا ببناء مار شليطا وأصله من الطائفة الملكية وأنّ المعلمين كانوا من قرية ريشميا.

[٣] غربي قرية إهدن.

[٤] سيدة حوقا في سفح الجبل في وادي قديشا على مسافة نصف ساعة من قنوبين وموقع الدير في مغارة تحت الصخر.

[٥] كل ذلك مذكور في الكتاب السابق ذكره آنفًا.

[٦] عن السجل ص ٦٨ - ودير شاريا إلى جانب قرية عينتورين وهو الآن مهجور لأن موقعه ردي وهواءه مضر بالصحة بسبب كثرة المياه.

[٧] وهذه الحجة بتاريخ شهر آذار سنة ١٧٠٧.

على كرسي بيروت وهذا غير صحيح) في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣ ودعي باسم جرجس[٨]. وبعد أن أقام الخوري خيرالله كنيسة السيدة المشار إليها بعشرين سنة نقل الدير إلى حيث هو الآن وبنى كنيسة ثانية على اسم القديس مار انطونيوس الكبير وأتم بنيانها في سنة ١٦٩٠ وحضر بعد ذلك البطريرك إسطفان الدويهي وكرسها وقال أمام الحاضرين: إن هذا الدير سوف يصير منه خير عظيم للطائفة المارونية. وقد دوّن ذلك في سجل تلك المدرسة الشهيرة السعيد الذكر المطران يوسف إسطفان[٩] نقلاً عن أحد الشمامسة[١٠] الذي كان بخدمة الدويهي وصار كاهنًا فيما بعد وتوفي قبل تحويل الدير إلى مدرسة. وأخذ عن الشيخ إسطفان والشيخ انطانيوس ابنه ان هذا الكاهن يهذّ في هذا لادير حسب قول البطريرك ويقول: لا نعلم ما هذا الخير العظيم الذي سيصير من هذا الدير حسب قول البطريرك المذكور. وبعد إنشاء المدرسة وشهرتها تحقق عند المذكورين ان هذا القول كان بالهام الهي وأخبرا به. وكان تكريس كنيسة مار انطونيوس المذكورة يوم عيد الصليب ١٤ أيلول سنة ١٦٩٨[١١] وكل يعلم كيف تمت نبوة البطرك إسطفان والخير العظيم الذي كانت ولم تزل مدرسة عين ورقة منبعه ومصدره.

ومن الأديار التي قامت بإيعاز بطريركنا المطوب الذكر دير مار جرجس الرومية ودير مار سركيس ريفون وهذا كان مطلاً قديمًا ويحتمل انه كان موضعه دير او كنيسة ما قبل خراب كسروان وهذا الدير كان تابعًا قرية عجلتون لأن ريفون حديثة العهد. وكانت البلاد كلها بما فيها خاصة الأسرة الخازنية فقدم من بطحا القس سليمان أبي مبارك وأولاده وبعض أقربائه طالبين التكرس لخدمة الله فأطاعهم الشيخ ابو قانصوه الخازن المحترم الذي قام فيه بسعيهم وعملهم الدير الشهير وقد تحوّل مدرسة طائفية سنة ١٨٣٢ بعد أن صدر فرمان بالولاية عليه لعائلة بيت مبارك[١٢].

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

الا ان الحالة التي كانت عليها طغمة الرهبان المارونيين من انقسام القوى وتفرق السعي وقلة انضمام الرأي كان من شأنها ان تبقي السيرة الرهبانية بمعزل عن النجاح الأدبي والزمني وما كانت لترضي البطريرك الدويهي وقد رأى في أوربة نشاط الرهبان الافرنج وما ينتج عن اتحادهم من الخير في المناضلة عن الدين وتهذيب أخلاق الشعوب وبث المبادئ المستقيمة والجهاد في سبيل ناموس الله وحفظ طريق الكمال المسيحي. والحق يقال ان الرهبانيات سور دين المسيح

---

[٨] وتوفي سنة ١٧٣٣.
[٩] وهو الفقيه الشهير الذي مات سنة ١٨٢٢.
[١٠] من قرية كفرصغاب في الجبة.
[١١] عن سجل مدرسة عين ورقة بخط المطران يوسف إسطفان السابق ذكره.
[١٢] وكان افتكر البطريرك يوسف حبيش وموازروه أن يقيموا فيه مدرسة لتعليم الطب.

وطليعة الجيوش النصرانية لأن ركن هذا الدين إنما هو التجرد عن كل شيء زائل والتمسك بصليب ابن الله واقتفاء آثاره لا السيف ولا القوة ولا المال فلولا وجود أشخاص يأخذون التجرد عن العالميات منهاجًا ويفكرون ليلاً ونهارًا بحفظ الوصايا والمشورات الإلهية ويجعلون هذيذهم في كمالات الخالق ليتشبهوا بها ما أمكنهم في الحيوة الآخرة لينالوها إكليلاً لجهادهم. لذهب الدين من عالمنا هذا الغارق بلجج الشهوات الفاسدة ولفترت المحبة في قلوب الكثيرين. وزد على ذلك ان الرهبانيات ليست فقط حظيرة خلاص لمن يلجأ إليها لكن بما ان الله أوصى كل إنسان بقريبه ولم يعفُ من وصية حب القريب أحدًا فكان على الرهبان والنساك أن يحفظوها ويحبوا القريب لأجل الله أو يحبوا الله في الإنسلان الذي هو على صورته ومثاله وأن يتجندوا لعمل الخير وينذروا الشعوب بالانكفاف عن المعصية ويحملوهم بأقوالهم وأمثالهم على الصلاح ويكونوا كما قال السيد له المجد نور العالم وملح الأرض. ومن المعلوم أن كل إنسان إذا تجند وتجرد لغاية مهما كانت وثبت في عزمه غير متزعزع فلا شك انه يبلغ آجلاً أو عاجلاً حيث لم تبلغ الآمال. فماذا يكون إذا أجمع كثيرون على رأي واتحدوا واتفقوا في التجرد والتجند وتشاطروا الأتعاب والأعمال. وقد تقول حكمة الشعوب في أمثالها ان القوة في الاتحاد. فلأجل هذه الأسباب وغيرها كان الرؤساء عمومًا وكثيرون من المتنورين الطالبين الإصلاح والنجاح يفكرون بضم الرهبان ليكونوا رهبانية واحدة تحت نظام واحد وكانوا يطلبون من الله أن يوفقهم إلى هذه الغاية لأنه بدونه لا يقدر أحد على شيء وعبثًا يبني البناؤون إن لم يأخذ هو بيده.

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden Zgharta

فلما أحب الله أن يضم هذه الأديرة المتفرقة لتكون الفائدة أعم وأتم أرسل في أسرع دعا من مدينة حلب ثلثة أشخاص متقين الله جدًا سالكين بموجب وصاياه مشهودًا لهم من كل عرفهم وكانوا مارونيين ذوي ثروة وحسب بالغين من العمر اشده اسم الاول منهم جبرائيل[١٣] والثاني عبدالله (وروي عبد الأحد) قره ألي[١٤] والثالث يوسف بن بتن[١٥] فحركهم الله لما كان فيهم من البراعة والشجاعة إلى أن يجددوا رهبانية مار انطونيوس ويضعوا لها قوانين مأخوذة من تعاليم أبي النساك وأقوال آبائنا القديسين ويرتبطوا بقيد نذر ذي أربع حبائك وهي العفة والطاعة والفقر الاختياري والتواضع. وكان خروجهم من حلب سنة ١٦٩٤[١٦] في شهر شباط فزاروا القدس والأراضي المقدسة وتوجهوا إلى جبل لبنان مقر الأديار والنساك ومركز بطريرك الملة المارونية وكان يتقدمهم جبرائيل حوا وهو رجل عاقل ديّن غيور على إتمام ما قصدوه وخرجوا في طلبه فوصلوا إلى مدينة طرابلس

[١٣] بيت حوا أصلهم من إهدن وانقرضت سلالتهم فيها ونزح بعضهم إلى حلب بأمر السلطان سليم في أوائل القرن السابع عشر. ومنهم بقية في مرسيليا.

[١٤] ووجدت قراعلي بخط القس جبرائيل فرحات. والأصح قره ألي أي اليد السوداء. قيل ان واحدًا من هذه العائلة لعب بالسيف قدام أحد السلاطين في حلب وكانت يده سوداء فعرف بهذا اللقب.

[١٥] القس يوسف البتن مات مع راهب آخر لما سقط الشير على قلالي دير قزحيا سنة ١٧١٤.

[١٦] وروي ١٦٩٣.

وارتقوا منها إلى طور لبنان المقدس ودخلوا دير قنوبين حيث كان البطريرك إسطفان الدويهي وأطلعوه على قصدهم. فلما رآهم تهلل فرحًا وابتهجت نفسه السعيدة بابتهاج الروح القدس إذ نظرت عيناه ما كان يشتهي أن يرى وقوعه. ثم طافوا بلاد الجبة وجبيل وكسروان طالبين مثوى يوافق موقعه غايتهم ورجعوا أقاموا في الكرسي البطريركي في قنوبين يفحصون دعوتهم مهتدين بنور السيد البطريرك وينظرون في ما كان يقتضي عمله.

وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ لبسوا الإسكيم الملائكي من يد الدويهي على سبيل التجربة من غير نذر وأقاموا جبرائيل حوا رئيسًا عليهم وقطنوا دير مرت مورا حذا إهدن الذي كان كام الدويهي رممه سنة ١٦٩١ كما قلنا. فأفرغه لهم وزادوا عليه وتكلفوا دراهم غير قليلة وهكذا ملكوه[١٧]. وذاع صيت فضيلتهم وقداستهم وصاروا بعبادتهم ومثلهم الصالح قدوة الكمال للمؤمنين ولغير المؤمنين وأخذت الناس تفد إليهم للترهب عندهم وللدخول في باب التوبة والخلاص الذي فتحوه فدخلوا وأدخلوا من شاء وعند ذلك جعل رئيسهم قسًا وشرعوا من ذالك الحين يجمعون لهم قانونًا من وصايا أبيهم أنطونيوس الكبير وتلاميذه. وفي هذه السنة أيضًا نذروا نذر الفقر بين يدي المطران جرجس اليمين مطران إهدن[١٨] وتعاهدوا أن لا يتخصص أحد منهم بشيء ووقع المطران ختمه على معاهدتهم.

ثم شرعوا بترميم دير آخر على اسم القديس اليشاع في الوادي المقدس تحت قرية بشراي وكان هذا الدير خرابصا وهو في الأصل محبسة حولها مغاور لا تحصى بعضها في أسفل الوادي والبعض معلقة في أعلى الصخور كعش النسور اختارها النساك منذ القديم مسكنًا وانقطعوا فيها عن العالم. ومن آثارها التي صبرت على كرور الأيام طبليت من المرمر الأسود وجده الرهبان في إحدى المحابس ونقلوه إلى كنيسة الدير وهو الان على مذبحها الكبير وعليه بالسريانية والحرف السطرنجيلي الأسماء التابعة: لان المطربوليط من ازمين معاملة حلب. اثاناس ابن اخي مار لاون. شمعون من قرية ازمين. يولينا الطبيب." ولم نعلم ما هذه الاسماء ولا من اصحابها. وكان دخول الرهبان إلى الدير المذكور سنة ١٦٩٦ وأقاموا عليه رئيسًا عبد الاحد بن قرا ألي بعد أن اقتبل القسوسية. وكان هذا الرجل مفعمًا من الله حكمة وفطنة ذا عقل ثابت. وعلم راسخ فصيح اللسان بيلغ المعاني محبوبًا من كل من رآه وكان درس الشريعة على فقهاء حلب فصار الناس يستفتونه في المشكلات الشرعية. وقد ترك تآليف عديدة شتتها أيدي الإهمال منها

[١٧] درست آثار هذا الدير الذي كان مهد الرهبنة. وكنيسة مرت مورا الحالية هي غير الدير القديم.
[١٨] وهو الخوري جرجس بن سركيس بن عبيد الهدناني الذي أقامه الدويهي مطرانًا على إهدن في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠ ويتكنى ببنيمين والكاروز. ثم دخل شركة اليسوعية وتوفي في رومة. وليس من بيت يمين كما وهم البعض.

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

كتاب تأملات روحية وجدته بخط يده وشرح القانون الرهباني والزامات العيشة النسكية وكتاب الافراميات وقانون راهبات دير حراش حيث سكن بعد أن صار أسقفًا على بيروت سنة ١٧١٦. وبكل صواب يعتبره الرهبان كمؤسسهم الأخص.

وفي السنة المار ذكرها آنفًا غير الرهبان شكل أثوابهم وقلنسواتهم عن شكل أثواب وقلنسوات غيرهم من الرهبان المارونيين وكانت أثوابهم في الأول من النسيج الأزرق وقلنسواتهم شبيهة بالمخروط الصنوبري. ثم شرعوا بترتيب قانونهم راجعين في سائر الأحكام إلى اقوال الآباء القديسين وتعاليمهم واضعين نصب أعينهم غايتهم الأساسية وهي الانفراد عن العالم والاعتناء بخلاص نفوسهم تحت تدبير رئيسهم القس جبرائيل حوا. وفي سنة ١٦٩٧ عقدوا مجمعًا عامًا في دير مار اليشاع وأعادوا القس جبرائيلب المذكور إلى وظيفته والقس عبد الأحد رئيسًا على دير مار اليشاع وأقاموا القس جبرائيل فرحات الحلبي رئيسًا على دير مرت مورا بعد أن سيم قسًا[١٩]. وكان رجلاً فاضلاً عالمًا. فأب الفلسفة والإلهيات في حلب على الخوري بطرس التولاوي وصرف حياته معتزلاً منكبصا على التأليف والتعريب والتنقيح وقد عاش بين معاصريه مجهولاً وما سطعت أنوار فضله ومعارفه إلا بعد وفاته بزمن طويل. فهو الذي اطلع النصارى السوريين على لغة العرب التي ندر البارعون فيها بين من سلفه من مواطنينا وترك للطالبين ما يغنيهم عن البحث في كتب من تقدموه ومن أتوا بعده. ثم نقح كتب الطقسية وصحح عبارتها الركيكة ووضع للخطباء أصول فن الخطابة وقواعد البلاغة والفصاحة وكتب لإخوته الرهبان صلوات وتاملات روحية تخشع لها القلوب وقال الشعر فاجاد اقواله كالصلوات منثوره شاكرة. وهو القائل في محبة الجود الإلهي هذه الأبيات الشهيرة التي افرغ فيها عواطف قلبه الملتهبة:

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy of Ehden-Zgharta

الله الله انت السمع والبصر	في العاشقين وانت الفوز والوطر
هويتكم والهوى مني على صغر	يا حبذا وله قد زانه صغر
هجرت فيكم ربوع الوالدين وما	اهوى فلم يرضني من دونكم اثر

إلى آخر هذه القصيدة. وسيم مطرانًا على حلب سنة ١٧٢٥ وتوفي سنة ١٧٣٢. وشهرته تغني عن إطالة الكلام عنه.

[١٩] راجع كلام القس جرجس منش عنه في المشرق في عددي ١٥ ك ٢ وأول شباط من سنة ١٩٠٤.

وفي سنة ١٦٩٨ تمموا ترتيب قانونهم في خمسة عشر بابًا. ١) في الطاعة. ٢) في العفة. ٣) في الفقر. ٤) في كسوة الرهبان. ٥) في سكن القلالي. ٦) في السفر. ٧) في المائدة. ٨) في عمل اليد. ٩) في الصمت. ١٠) في الصلوة العقلية. ١١) في الصلوة اللفظية. ١٢) في الاعتراف. ١٣) في تناول الأسرار. ١٤) في الأدب. ١٥) في المرضى. ووقع الاتفاق في هذه الرهبنة بموجب القانون الذي قبلوه وارتضوا به ان يكون لهم رئيس عام على الرهبنة بموجب القانون الذي قبلوه وارتضوا به أن يكون لهم رئيس عام على الرهبنة وأن يكون لكل دير رئيس خاص يطيع الرئيس العام وأن يكون مع الرئيس أربعة يسمون المدبرين يساعدون الرئيس العام وأن يكون لهم مجمع عام يجتمع كل ثلاث سنوات ويكون ختامه في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني وهو اليوم الذي لبس فيه الإسكيم مؤسسو الرهبنة المقدم ذكرهم[٢٠] إلى غير ذلك من الاصطلاحات. وشرعوا يمشون على هذا القانون وهذا الترتيب من غير نذر لأن قانونهم لم يكن بعد تثبت من السيد البطريرك.

ومما يظهر اهتمام البطريرك إسطفان بالرهبان والأديرة انه لما كان الحلبيون يؤسسون تحت نظره الأبوي رهبنتهم الجليلة لم يصرف اعتناءه عن الأديار القائمة في الطائفة السالكة على النظام والعوائد القديمة ويظهر ان البعض خالفوا القوانين البيعية في أمر ترهيب النساء. ومن المعلوم ان اكثر الأديار في القديم كانت مزدوجة أي انه بكل دير الرجال كان يوجد أديار أخر للنساء منفصلة عنها لكن بما ان الأديار كان كل منها مستقلاً عن غيره وأهلها يتصرفون كيفما شاؤوا في محلهم كان يقع بعض محظورات لكون الإنسان من طبعه معرضًا للسهو والغلط ومائلاً إلى مجاوزة الناموس والنظام. والبيعة المقدسة لعلمها بضعف الطبع البشري سنّت منذ القديم شرائع لكلما يقدر حلوله في مجتمعات الناس. والمخلص له المجد وضع الرئاسة وخلفاهم مراقبين ينبهون من يحيد عن طريق الخلاص ويؤنبونه إذا اقتضى الأمر ويقاصونه حتى لا يبقى له عذر قدام الديان. وقيامًا بهذه الوصية وجه البطرك إسطفان إلى رؤساء الأديار المنشور الآتي نذكره بحروفه:

"البركة الإلهية والنعمة السماوية تكون حالة على أولادنا رؤساء الأديرة المكرمين

أولاً مزيد الأشواق إلى رؤيتكم بكل خير وعافية. وبعده سابقًا قد وصيناكم دفعات كثيرة أن لا ترهبوا النساء في أديرة الرجال لأجل حفظ الطهارة وإزالة الشكوك والآن بلغنا ان البعض منكم

[٢٠] وصار الآن ابتداء المجمع في اليوم العاشر.

https://patriarchdoueihy.com/ | Maronite Patriarchal Epalchy Ehdeh-Zgharta

وصلوا على هذا الافتراء حتى انهم رهبوهنّ في السنة الثانية عشرة من عمرهنّ والبعض ألزموهنّ في لباس السواد رغمًا عنهن فلأجل ذلك على موجب وصية بولس الرسول وقوانين المجامع المقدسة وعلى مشورة غخواننا المطارين المكرمين نأمر من الآن وطالعًا ما أحد معه إجازة يكرس راهبة ولا يرهب امرأة في أديرة الرجال دون الستين سنة من عمرها. فمن اجترأ وخالف ما نحن ذاكرين يكون مربوطصا من كهنوته والتي تترهب تكون محرومة. ومن خصوص اللواتي ترهبن قبل هذا الآن نحتمل التي تكون بلغت سنة الأربعين فتلبس منديلاً أبيض أم أزرق بمنزلة التي في التجربة وإذا ما أحسنت السيرة فلتطرد من الدير. ونحن ما احتملنا ذلك إلا من عسر الزمان ولأجل ضمّ الحال بين الأمم الغريبة ولكن ما يمكن نطابق بان امرأة تكون لابسة السواد أم منديلاً أزرق وتدور تشحد في القرى والمدن ولا انها تسير إلى الحقول ولا انها تعاشر الرجال ولا انها تبيت خارجًا عن قلايتها. فمن وجد مخالفًا منكم ومنهنّ يكون سقط تحت قوانين البيعة. فالحذر ثم الحذر من المخالفة وبعد تجديد البركة والسلام. حرر في نصف تشرين الثاني سنة ١٦٩٨ ربانية".

إنّ الأعمال الخطيرة في الدين لا يخلو تأسيسها من المحن لذلك أراد الله أن يكون ركن الرهبنة وأساسها على صخرة التجارب فسمح أن يقع الاختلاف بين المؤسسين وكان ذلك أنّ القس جبرائيل حوا الرئيس العام عنّ له أن يترك قانون الإنفراد النسكي ويتبع قانون الرهبنة اليسوعية ويتفرغ للوعظ والتعليم والطواف بين الناس في طلب النفوس الضالة. وأراد أن يلغي القانون الذي وضعوه أولاً فلم يوافقه على ذلك الرهبان لأسباب منها أنهم لا يخلوا الرهبنة على هذه النية وان هذه الطريقة يقتضي لها قوة في العلم والمال. وقيل ان الذي حمل القس جبرائيل حوا إلى هذا التغيير والانقلاب هو تقييد سلطان الرئيس العام بالمدبرين والعزل عن الرئاسة لأن رأيه كان أن تكون مؤبدة. فلبث على رأيه والرهبان على رأيهم ووقع التناقض. ذلك من حسد الشيطان لمثل هذا الخير فأراد أن يهدم أركان الرهبنة. فلما نظر القس عبد الأحد المسمى عند العموم بالقس عبد الله قرا ألي ما وقع بين الرهبان من الانشقاق رفع راية النسك وتصلب ضد القس جبرائيل حوا وأخذ يحمي جانب الرهبنة والقانون المتفق عليه. فعظم النزاع بينهما وأقاما على ذلك مدة أشهر فالتجأت حينئذ الرهبنة إلى المجمع العام قبل أوانه وحكم على القس جبرائيل حوا بالعزل عن الرئاسة وأقاموا موضعه القس عبد الأحد وثبت البطريرك إسطفان ما حكم به مجمعهم.

وفي سنة ١٧٠٠ ترك القس جبرائيل حوا رهبنته والتجأ إلى السيد البطريرك ملتمسًا منه أن يخرجه من الرهبنة فلم يشأ البطريرك أن يتساهل معه بذلك بادئ بدء لكنه لما رأى إصراره تنازل معه وأحضر القس عبد الأحد وباقي الرهبان وحكم بانفصال القس جبرائيل حوا منهم وأعطى القس

http://patriarchdeirhyb.com/Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zghartal

عبد الأحد دير مار اليشاع وأعطى القس جبرائيل دير مرت مورا إهدن وترك الحرية للرهبان في أن يتبعوا الذي يريدونه منهما. وهذه صورة الأمر بذلك:

كتابة سريانية

وجه تحرير الأحرف هو أننا وقفنا على الخلف الواقع بين أولادنا الرهبان الحلبية. إن ولدنا القس جبرائيل قاصد التبشير وخلاص الأنفس وولدنا القس عبد الله قاصد عيشة النسك والرياضة فتنازلنا إلى سؤالهم وأمرنا القس جبرائيل يكون مقيدًا بدير مرت موره بإهدن وبنيانه. والقس عبد الله بدير مار اليشاع ببشري وعماره. وان رزق الإخوة الذي كان بينهم بعقد الشركة ينقسم بينهم مناصفة بعد وفاء الدين إن كان. وإن كل واحد من الإخوة يأخذ ما يحتاج إليه من المؤنة والكسوة ويسكن تحت طاعة الذي يرتضيه من الاثنين. وكان ذلك برضى وقبول من الجانبين. نسأل الحق سبحانه وتعالى يكون ناظرًا إليهم ومساعدًا لهم ليحظوا بالخلاص هم وغيرهم. حرر بدير قنوبين في خمسة من تشرين الثاني سنة ألف وسبعماية للتجسد الإلهي[٢١]".

فتبع القس جبرائيل حوا راهبان فقط والباقون بقوا مع القس عبد الأحد وكانت يد الله معه.

أما القس جبرائيل حوا فبقي في دير مرت مورا حتى سنة ١٧٠٠ مع ذنيك الراهبين اللذين خرجا معه فلم يجد راحة لنفسه ووقع في الخصام مع المطران جرجس بن مطران إهدن. ثم تركه أحد الراهبين وارتد إلى إخوته في دير مار اليشاع ونذر كباقي الرهبان ولم ينذر شرد تائهًا. عند ذلك طلب القس جبرائيل المذكور إلى القس عبد الأحد ان يقيم بين هؤلاء الرهبان بلا نذر ويهبهم كل ماله في دير مرت مورا فالرئيس قبل بذلك لكن المدبرين لم يرضوا فاغتاظ ابن حوا وعاد فأصلح أمره مع المطران وسكن مرت مورا قليلاً ولما رأى أن المطران يبغضه استأذن السيد البطريرك بالذهاب إلى رومة فأذن له وكلفه بأخذ أولاد للمدرسة وبتقدمة الطاعة باسمه للبابا اقليمس الحادي عشر الذي كان قد قام في تشرين الثاني سنة ١٧٠٠. وأمره أن يسعى بطبع بعض كتب طقسية كما يقول عن نفسه في مقدمة كتاب المزامير الذي طبعه في رومة سنة ١٧٣٧ وشاع انه ذهب بحجة أن يأتي بمطبعة إلى بلاد الشرق فسافر إلى رومة العظمى في ١٠ من ت ٢ سنة ١٧٠١ وأقام هنالك فاستخدمه الكرسي الرسولي في قضاء بعض أمور في مصر مع رؤساء القبط وبعد

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

[٢١] عن سجل الدويهي ص ٥٨٩.

عودته إلى رومة وهبه البابا إقليمس الحادي عشر دير مار بطرس ومرقّلينوس مكافأة لأتعابه والقس جبرائيل المذكور ترك الدير للرهبنة. وصار بعد ذلك مطرانًا على جزيرة قبرس.

وفي الوقت نفسه أي سنة ١٧٠٠ بلي القس جبرائيل فرحات بتجربة الضجر[٢٢] فتبع هوى نفسه وخرج من الرهبنة (لكن قبل إبرازه النذر لأن قانون الرهبنة ما كان تثبت بعد ولا كان في الرهبنة نذر). وانفرد في قرية زغرتا في زاوية طرابلس وسكن هناك ديرًا على اسم القديس يوسف واتخذ له شماسًا وكان يعلم الأولاد ويعيش من صدقات المؤمنين وبقي فيه حتى سنة ١٧٠٥ فمرض مرضًا ثقيلاً ونهاه الأطباء عن السكنى في زغرتا فصعد إلى دير مار اليشاع وكان يخشى عدم قبولهم إياه فقبلوه بفرح وكان يقول انه منذ افترق عن إخوته لم يسترح ضميره البتة. ثم نذر وأضحى مع الإخوة. وكان القس جبرائيل المذكور عاكفًا على الدرس والمطالعة وعبادة الله مشتغلاً في خلوته بتآليف تلك الكتب الشهيرة التي أذاعت اسمه في كل البلاد ولذلك لا نرى له ذكرًا في الاضطرابات التي زعزعت الرهبنة صدر تاريخها. وقد كرس مدة إقامته في زغرتا للمطالعة والتأليف. وقد وجدنا بخط البطريرك إسطفان تبيان بعض كتب كان أعارها للقس جبرائيل فرحات في تلك الآونة منها كتاب النوافير ولقسيقون (معجم) سرياني وأول جزء من المنارة والكتاب الثالث من تواريخ الموارنة (الجساج) مما يدلنا على اعتبار البطريرك لفرحات.

وبعد خروج حوا من الرهبنة هدأت الخواطر واستقام القس عبد الأحد يسوسها ويرعاها بمروج أمثاله وعلمه وكان الله ينميها على يده. وأخذ الرئيس العام يتفاوض مع البطريرك إسطفان لكي يثبت له القانون ليقيد رهبانه بسلاسل النذور المقدسة لئلا يتهاونوا بالجهاد ويلتفتوا إلى الوراء كما فعل غيرهم قبلهم أما البطريرك فما كان يشاء ذلك ولم يجب طلبه فأخذ الرئيس والرهبان يبتهلون إلى الله. فحرّك الله قلب أحد خائفيه وهو المطران جرجس يمين المشهور بالقداسة والعلم الذي لأجل غيرته على خلاص النفوس وتثقيفها في سبل الصلاح لقبه الشعب بالكاروز أي الواعظ وكان يحب الرهبنة وينتصر لها فأخذ يسعى في تثبيت قانونها فدخل على البطريرك مع مطران آخر يساعده وأوضح له ضرورة تثبيت قانون هذه الرهبنة فتنازل البطريرك إلى إجابة سؤاله لحبه له ولمعرفته سلامة نيته وثبت قانون الرهبنة بحضور بعض المطارين وكان ذلك في

https://patriarchdouaihy.com/ Maronite Patriarchal Eparchy Ehden Zgharta

[٢٢] قال القس عبدالله قره ألي عن نفسه أنّه أرسل من الرئيس العام الأب جبرائيل حوا لأجل جمع إحسان من حلب وغير مصالح وأنّه عند رجوعه التقى بالقس جبرائيل فرحات في طرابلس سنة ١٧٠٠. قال وعند وصولي وجدت القس جبرائيل فرحات رئيس دير مارت مورا هناك في منزل الرهبان وأطلعني على سره أنّه يريد الخروج من رهبنتنا والدخول في غيرها لشدة الضجر الواقع عليه ولما استقصيت سبب ضجره رأيت أنّ الرئيس قصد أن يفتح ديرًا في كسروان ويبعثه إليه وعمد إلى ذلك وجمع كتبه وحوائجه ليمضي... فاعترض الرئيس أخونا الشماس يوسف البتن لأنّه كان أحد المدبرين... وصار بينهم منازعة ومن قبل هذه المنازعة صغرت نفس القس جبرئيل فرحات وعزم على الانفصال منا ثم شاع خبر انفصاله وصار سجس بين الرهبان لأنّ القس جبرائيل كان له اعتبار عندهم من حيث وظيفته وعلمه باللغة العربية والشعر والفصاحى وصاروا ينسبون سبب خروجه إلى تدبير الرئيس.

اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٧٠٠. وقد شاهدنا في دير سيدة اللويزة القانون الأصلي وفي صدره التثبيت وختم البطريرك الدويهي[٢٣].

وفي سنة ١٧٠٢ عمل الرهبان مجمعًا عامًا وثبتوا الأب عبد الأحد في الرئاسة وقرروا بعض أمور بخصوص اقتبال الدرجات المقدسة وقبول المبتدئين في سلك الرهبان وأخذوا يزدادون وينمون في الخير وكانوا جميعهم حريصين على حفظ قانونهم بتدقيق كلي سائرين بموجب نذورهم المقدسة فكانت سيرتهم مرضية لله وأعمالهم مثالاً للغير وعطرت روائح قداستهم كل البلاد وأخذ الناس يتراكضون إليهم كالجياع والعطاش إلى ينبوع الخيرات. وبالاختصار استحقوا بطهارة السيرة وأمانة الجسد والزهد في الدنيا أن يسمعوا من فم الرب كلمة الطوبى عند قبول جزاء الفعلة النشيطين والعبيد المتيقظين: طوبى للمساكين بالروح. طوبى لفاعلي السلام. طوبى للنقية قلوبهم لأنهم يرثون الأرض والسماء ويعاينون الله. وقد مدحهم احد إخوتهم بأبيات طويلة منها:

يميتون أجسامًا ويحيون أنفسًا لكيما ترى من مات حيًا ومنفوسا
فلن يفزعوا في سيرهم من ابالسٍ متى قرعوا في دجية الليل ناقوسا
مدارعهم ثوب الحداد بروسهم قلانس سودٌ ليس ذلك تدنيسا
ثيابهم سودٌ وبيضٌ فعالهم وسيادهم صفرٌ وقد طهروا روسا

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta

وبينما كان الحلبيون يجدون في ضم الأديار إلى بعضها ليكون منها رهبنة واحدة كبيرة حرك الله المطران جبرائيل البلوزاني أن يرسل من دير السيدة المعروف بالمخلص في بلاد كسروان[٢٤] الذي كان أنشأه منذ سنة ١٦٧٣ الخوري سليمان ابن الحجي المشمشاني والقس عطا الله كريكر الشامي والخوري بطرس مونس البزعوني والقس موسى البعبداتي إلى دير مار أشعيا في برمانا الذي كان أنشأه هو أيضًا ليسكنوه ويتعبدوا لله تعالى مع من يقتدي بأمثالهم ويتبعهم إليه وهذا كان مبتدأ تأسيس رهبنة مار أشعيا الأنطونيانية. ثم بعد ذلك أي سنة ١٧٠٣ لما رأى البطرك إسطفان حسن سلوك الرهبان المذكورين وتشبثهم بالمنهج الرهباني واجتهادهم في نشر جمعيتهم بإعطائهم الأمثال الصالحة للجميع أثبت لهم رسومهم ورتبتهم الرهبانية وهكذا أراد الله أن يعزي عبده إسطفانس فجعل تأسيس الرهبانيات المارونية في عهده وأراه اثمارها الصالحة في هذه الدنيا

[٢٣] وهو غير القانون المشهور الذي ثبته الكرسي الرسولي بعدئذ خلافًا لما جاء في المشرق سنة ١٩٠٤ ص ١٠٥ في الحاشية ٣. راجع ص ١٠٦ حاشية ٢.
[٢٤] إنّ قاطع بيت شباب كان يعرف سابقًا بمزارع كسروان.

قبل مماته. نطلب من الله بشفاعة عبده المذكور أن يصونها ويرعاها ويجعلها منارة الطائفة وسورها الوطيد. انه السميع المجيب.

https://patriarchdouaihy.com/
Maronite Patriarchal Eparchy Ehden-Zgharta